وكان يلبس ثوب قطن وعمامة سخابية ولم يتناول فواكه دمشق
لشبهة فيها قال ابن العطار فسألته عن ذلك فقال دمشق كثيرة
الأوقاف وأملاك من هو تحت الحجر والتصرف وهي لا تجوز إلا على وجه
الغبطة والناس لا يفعلونها وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع
بعد التابعين المجموع الذي اجتمع في النووي ووجد في مجموع بخط الشيخ
شمس الدين النووي أن بواب الرواحية حكى وقال ذهب
الشيخ في الليل فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت
معه خطوات فإذا نحن بمكة فأحرم الشيخ وسعى ثم طاف وسعى
ثم طاف إلى أثناء الليل ورجع فمشيت خلفه فإذا نحن بالرواحية
قال الذهبي وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بعد موت أبي شامة
سنة خمس وستين وفي البلد من هو أسن منه وأعلى سندا فلم يأخذ
من معلومها شيئا إلى أن مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح
فجيء له به فلم يأكله فلما مات رآه بعض أهله فقال ما فعل الله بك
فقال أكرم نزلي وتقبل عملي وأول قرى جاءني التفاح وتوفي يوم الأربعاء
رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمائة ودفن ببلده
طيب الله مضجعه روي أنه أنشد أبياتا عند الوفاة منها هذا
البيتان وزيد ما بعدهما

تباشر قلبي في قدومي عليهم * وبالسير روحي يوم تسري إليهم
وفي رحلتي يصفو مقامي وحبذا * مقام به حط الرحال لديهم
ولا زاد لي إلا يقيني بأنهم * لهم كرم يغني الوفود عليهم

واشتهر أن الخضر عليه السلام كان يجتمع به قال بعض الأخيار إنه
رأى فيما يرى النائم رايات كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب
فتعجبت من ذلك فقلت ما هذا فقيل لي الليلة قطب يحيى النووي

فاستيقظت

فاستيقظت من منامي ولم أكن أعرف الشيخ ولا سمعت به قبل ذلك واتفق
أن دخلت المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في
دار الحديث الأشرفية وهو الآن جالس فيها للميعاد فاستدللت
عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع بصره علي
فنهض قائما إلى جهتي وترك الجماعة ومشى إلى طرف إيوانها ولم يتركني
أتكلم وقال اكتم ما معك ولا تحدث به أحدا ثم رجع إلى موضعه ولم أكن
رأيته قبلها ولم أجتمع به بعدها وحكى اليافعي في آخر الحكاية الثانية
والثلاثين من روض الرياحين فيما يتبعه أن الشيخ خطف سارق
عمامته وهرب فتبعه الشيخ يعدو خلفه ويقول ملكتك إياها فقل
قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كغيره
بقوله بسم الله الرحمن الرحيم اقتداء بالكتاب العزيز وعملا
بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال أي شأن يهتم به شرعا لا يبدأ
فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر وفي رواية أقطع وفي رواية أجذم
بالجيم والذال المعجمة وفي بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ
في العيب المنفر ومعنى الجميع أنه ناقص قليل البركة أو مقطوعها وإن تم
وكمل حسا فلا يرد ما قيل إنا نرى كثيرا من الأمور التي بدئ فيها بالبسملة
لم تتم ونرى أمورا بالعكس وخرج بذي البال الحرام والمكروه وفي وصف
الأمر بذي البال فائدتان الأولى رعاية اسم الله حيث يبتدئ به في
الأمور التي لها شأن وخطر والثانية التيسير على الناس في عدم طلبها
في محقرات الأمور وأورد أن البسملة أمر ذو بال فتحتاج إلى سبق مثلها
ويتسلسل وأجيب بأن المراد الأمر الذي يقصد لذاته فتجب
لا يكون وسيلة لغيره وأورد عليه طلبها في الوضوء مع أنه غير مقصود
لذاته دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والأولى أن يقال إنها

Copyright King Saud University